

التلمل من البحوث المُنتَشِرُ في اللاجئين الروانديين بأوغندا

إكليئوفاس كاروما

يُظهِرُ اللاجئون في مستوطنة ناكيفالي للاجئين تلملهم من البحوث، ولكنَّ باحثةً خاصَّةً عَادَتْ إليها زائرةٌ مرَّةً أُخرى وبزيارتها كَشَفَتْ في الحكاية عما لم يكن في الحسبان.

تأتون [أنتم] فتأخذون قصصنا وتصوِّرون معاناتنا فيديويًا وتختفون.“

وسأل لاجئٍ آخر قال: “أسيطِعُمُ بَحْثَكَ أَسْرِي؟” وقال أيضاً مشارك من المشاركين في مناقشة: “نرى أن الباحثين مسرورون بمشكلاتنا المُزدادَة فبذلك يُجْرُونَ مزيداً من الأبحاث... ما نزال نواجه المشكلات ذاتها على الرغم من عدد الباحثين الذين اجتمعنا بهم.“

وكان أكثر اللاجئين راغبين عن استثمار أي شخص على ما لديهم من معلومات، لأنهم كانوا في محترابين خائفين من إجبارهم على العودة. واعتقد المُستَطْعُونُ أنَّ المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تأمرت هي وحكومتَي أوغندا ورواندا على قَسْر اللاجئين على العودة إلى رواندا.^٢ فضلاً على أنَّ اللاجئين قد لا يستطيعون توفِّع عواقب مساهماتهم في المشاريع البحثية، ويمكن لهذه الحيرة أن تخيفهم وتحول دون مشاركتهم في آخر المطاف.^٣ ففي حالة من الحالات، كانت لاجئة أُبلغت باحثة أنها أنقذت ناساً في الإبادة الجماعية التي وقعت سنة ١٩٩٤، فأخبرتنا اللاجئة بما نشأ من حَظِرٍ وقلقٍ إذ نشرت الباحثة قصتها باسمها وصورتها.

ومن أجل إنشاء الثقة وإثبات الطيبة التطوعية والمعرفية لمشاركة المُستَطْعِين، قَدِّمَتْ بين يدي اللاجئين استمارات للموافقة عن علم وبيَّنت لهم أنَّ غاية دراستي أكاديمية. غير أنه في مناقشة من المناقشات الجماعية قال أحد المشاركين:

لمَّا كان في خلال بحثي لنيل درجة الدكتوراه^١ بين سنة ٢٠٠٩ وسنة ٢٠١٣ في شؤون اللاجئين الروانديين بناكيفالي، إحدى أقدم تجمعات اللاجئين في أوغندا، تَبَهَّت في أثناء المقابلات إلى كثير من العبارات التي تفصح عن التلمل من البحث. إذ غلب على شكاوى الإفراط في البحث أن تأتي من جُمع بين شدة الإعادة والتكرار والفضول غالباً عن الحاجة في البحوث التي تجري في المخيم، فضلاً على الشعور بأنَّ البحوث تُخَفِّقُ في إحداث تغيير حقيقي كبير مقداره أو فائدة للمُقيمين الذين تُجرى عليهم البحوث. ولقد يُنظَرُ إلى البحوث في بعض الحالات أنها جزء من نظام للمراقبة والسيطرة. وفي غيرها من الحالات قد يُنظَرُ إلى البحوث أنها تنفع الباحثين في شؤون حياتهم ومهنتهم وترك شؤون حياة المُجرى عليهم البحوث -أي اللاجئين- من دون أي تحسُّن فيها ذي شأن، بغض النظر عن مساهماتهم في المعلومات والوقت والنشاط والموارد.

وبين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٣، جذبت إعادة اللاجئين الروانديين إلى وطنهم (والتذرعُ ببنود وقف الحماية عن اللاجئين) كثيراً من انتباه الباحثين المحليين والدوليين. ففي جُمع للبيانات سنة ٢٠١١، قالت لاجئة رئيسة وهي غصبانه:

“أُنْعَبنا مجيء الباحثين ليسجلوا قصصنا في خضم كل المشكلات التي نحن فيها، فإعادة قسرية إلى الوطن، ونوم في الأدغال خوفاً من أن تُساق في الليل إلى رواندا، وتخفيض حصصنا الغذائية، وحظرنا من مُلك الأراضي والوصول إلى الخدمات الاجتماعية. لا أحد يعتني بأمرنا.

هل انتفعوا؟

بعد أن نلت درجة الدكتوراه، عُذتُ إلى ناكيفالي في سنة ٢٠١٥ زائرةً لأجتمعتُ بمُستجيبِي بحثي مرةً أخرى واستعلمتُ أحدث أخبار إعادة اللاجئين إلى وطنهم وبند وقف الحماية. وعلى الرغم من أن بعض الناس قد خرجوا من المخيم واندمجوا في المجتمعات الأوغندية المحلية (خوفاً من بند وقف الحماية) استطعتُ أن أجتتمعُ بأكثر المستجيبين.

ولاجئين اليوم رأيٌ مختلفٌ في أمر البحوث. فقالوا إنَّ البحوث هي السبب في بقائهم بأوغندا غير مُرحَّبينَ منها قسراً. ورووا عدداً من أجزاء البحوث التي نُشرت محلياً ودولياً، وأشاروا إلى منشورات نشرها مشروع قانون اللاجئين ومشروع باربارا هاريل-بوند الذي اسمه فاهامو (Fahamu) ومنظمات أكاديمية وعدد من المنظمات غير الحكومية، كل هؤلاء جاهداً في مناصرة حقَّ اللاجئين الروانديين أن لا يعادوا قسراً. ثم تحدَّثوا أيضاً عن بعض اللاجئين الذين كانوا يكتبون بجدُّ في مشكلة اللاجئين الروانديين وما وراء إحصائهم عن العودة. وإذ قد كانوا يرون في الأمر أمر البحث كله أمراً مُقرطاً فيه ما حلَّ شيئاً من مشكلاتهم، فهم اليوم يقولون إنه لولا الباحثون وغيرهم من المناصرين لما أسقطت سنة ٢٠١٣ بند وقف الحماية. ونظراً إلى التغير في وجهة النظر إلى المساهمة الكامنة في البحوث، فلعل من المفيد أن يُوسَّع مديرو المخيم مدارك اللاجئين في علو شأن البحث.

إكليثوفاس كاروما ckarooma@must.ac.ug

مُحاضرة رئيسة ونائبة عميد كلية الدراسات المتعددة التخصصات بجامعة جامعة مبارارا للعلم والثقافة بأوغندا
www.must.ac.ug

Karooma C (2017) *Rwandan Refugees in Southwestern Uganda: Their Attitudes and Responses to Repatriation 1994-2012*. The Edwin Mellen Press, Lewiston, New York

(اللاجئون الروانديون في جنوبي غربي أوغندا: مواقفهم واستجاباتهم للعودة إلى الوطن 1994-2012)

تودُّ الكاتبة هاهنا أن تُعرِّبَ عن عرقانها جميل باربارا هاريل-بوند في الإدارة والإرشاد طوال مدة دراسات الكاتبة لنيل درجة الدكتوراه.

Harrell-Bond B E (2011) 'Cessation Clause Uganda Style', Working Paper 11-001, Northwestern University Center for Forced Migration Studies (بند وقف الحماية على الطراز الأوغاندي)
bit.ly/HarrellBond-CFMS-WP11-001

Krause U (2017) 'Researching forced migration: critical reflections on research ethics during fieldwork', Working Paper No 123, Refugee Studies Centre

(البحث في الهجرة القسرية: تأملات نقدية في أخلاقيات البحث في أثناء العمل الميداني)
bit.ly/Krause-RSC-WP123

"نعلم أنك تريدن قصصنا لتنقلها إلى ... الحكومة الرواندية والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين حتى يُخرجونا من أوغندا قسراً، لا بدَّ أنَّهُم مُرسَلوك وأنت هنا تخدعينا بقولك إن غاية بحثك أكاديمية."

صنّفوني أداةً بيد أصحاب المصلحة المعنيين الذين كانوا قد دبروا لإعادتهم قسراً. غير أنني أعدت ذكر غايتي، وأظهرت لهم بطاقتي الهوية اللتان لي: الطالبة والجامعية. وقد ساعدتني هذه المعلومات المضافة على إنشاء شيء من الثقة، فوقعوا في آخر الأمر في استمارات الموافقة. ولكن بعد أن كسبت بعض الثقة طُفِقَ لاجئٌ يُسأل:

"قُلْتِ لنا إنَّ غاية دراستك أكاديمية. فكيف يعيننا هذا؟ إننا مرغوبٌ عنّا في أوغندا. ولكن لا نريد العودة إلى رواندا. فكيف يفيدنا بحثك؟"

فبيَّنتُ أنَّ البحث سيخرج بتوصيات للسياسة العامة بغية التأثير في السياسة العامة لكي تعالج مسألة العودة القسرية إلى الوطن، وكان الظاهر أن هذا التبيان لم يُرضهم البتة.

وكان اللاجئين مهتمين بالوعود التي وعدهم الباحثون بها. وقالوا إن بعض الباحثين يعدونهم بإرسال تعقيبات ودعوات إلى المؤتمرات، وبعضهم يعدهم بمنح دراسية لأطفالهم، وغيرهم يعدهم بأن البحث سيوجد حلاً لمشكلات اللاجئين. «لم أعد أصدقهم لأنهم يفتنون فور حصولهم على قصصنا. فإذا تنعتهم واتصلت بهم بالهاتف فلا يجيبون»، هذا ما قاله أحد المُستطلعين.

وكان المُستطلعون مهتمين أيضاً بتأثير الأسئلة الدائرة حول إحصائهم عن العودة إلى رواندا، بقولهم إنَّ من الأسئلة ما ذكرهم بما عانوه من قبل وبما كان فيهم من ضرر نفسي. فقال أحد المستجيبين: "ذكرتني بعض الأسئلة بالكيفية التي قُتلت بها زوجتي وأطفالي في رواندا. إنها أسئلة تعيد إلى ذاكرتي ذكريات فظيعة. حتى إن الباحثين، مع كل ذلك، لا يكفون أنفسهم متابعة أحوالنا ليعلموا أعادت إلينا العافية بعد الضرر النفسي الذي أوقعوه فينا بمقابلاتهم أم لا؟" فينبغي للباحثين في حالات كهذه أن يديموا البحث عن طرق إفادة فورية - كالنصح والتحفيز - وأن يعقبوا على ما كان، بدل أن ينشروا الوعود ويقولوا إنها ستُنجز بعد البحث، فجازز ألا تنجز هذه الوعود أصلاً فإلى أن تخرج نتائج البحث ربّما تكون الجماعات قد انتقلت.